الفصل الثالث

رسائل مكتوبة بأحمر الشفايف
ومرسوم فيها قلوب وأسهم كيوبيد
من ناريمان إلى فاروق !

وهنا يجب أن أتوقف قليلا لأروى بعض التفاصيل المثيرة فى قصتي مع فاروق وكيف أصبحت قريبا من ناريمان فى حياتها معه..

أنها وصية أخى وهو على فراش الموت التى دفعتني لأن أهتم بشئونها ، ولأن أكون قريبا منها..

وكما سبق أن قلت.. لقد كنت أبعد الناس عن قصة ابنة أخى عندما قرر فاروق اختطافها من عريسها الدكتور زكى هاشم، ليجعل منها ملكة..

وكما سمعت فى تلك الأيام.. لقد طلبوا إلى ناريمان أن تنسى تماما أن لها أهلا وأقارب..

قالوا لها.. يجب أن تبتعدي عن كل الناس بعد أن اختارها الملك لكى تصبح شريكة حياته..

وعملت ناريمان على تنفيذ هذه التعليمات بدقة خوفا من أن يعدل العريس الجديد.. أقصد الملك.. عن رأيه.. !

ونسيت ناريمان فى تلك الأثناء (عمو) مصطفى الذى كان يحنو عليها ويداعبها منذ أن كانت طفلة صغيرة.. وكانت تجد الراحة والسعادة فى أن تجلس إلى جواره لتهمس فى أذنيه بكل أسرارها..

ولا أخفى.. إننى فرحت، كما فرح جميع أفراد أسرتنا لأن ناريمان قد وقع عليها اختيار فاروق ليتزوجها، وليجعل منها ملكة..

ولكن صدقوني.. لقد كان آخر ما يمكن أن يتبادر إلى خاطري فى تلك الأيام هو أننى سأصبح مع زواج ناريمان وفاروق واحدا من حاشية الملك..

أو أننى سأكون مقربا إليه.. !

وصية أخى على فراش الموت:

وأعود بذاكرتي إلى تلك الليلة التى توفى فيها أخى حسين..

لقد كنت جالسا إلى جوار فراشه، وفجأة سمعته يهمس باسم ابنته ناريمان..

كان يريد أن يلقى عليها نظرة وداع أخيرة، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن يرغب فى أن تراه، وهو فى حشرجة الموت..

وكما سبق أن قلت.. حاولت ناريمان أن تدخل حجرة والدها لتطمئن على حالته، ولكن أخى صرخ فى وجهها قائلا:

- أخرجي بره... يا ناريمان.. !

وأذكر أن أخى تلفت ناحيتي، ثم أمسك بيدي وأخذ يضغط عليها، وهو يقول بصوته المتهالك:

مصطفى خد بالك من ناريمان..

ثم سكت، ولم يقل شيئا بعد ذلك..

لقد مات.. وهو يتمتم باسم ابنته الوحيدة..

المهم.. بادرت بالعمل بوصية أخى، وكان أن أخذت فى التردد على أحمد نجيب الجواهرجى فى كل يوم، تماما كما كان أخى حسين يفعل ليستفسر عن آخر تطورات الموقف..

ومرت عدة أيام دون أن نسمع أى خبر جديد من القصر الملكى.. أو من الملك..

وكان الملك قد اختفى تماما بعد أن جاء بين ناريمان ليعزيها فى وفاة والدها..

إنه لم يتصل بها فى التليفون كما كان يفعل قبل وفاة أخى حسين..

كما أنه لم يحاول أن يقول لها شيئا..

ولم يكن فى وسعنا إلا أن ننتظر..

ولا أريد أن أقول.. إننا كنا نتوقع فى تلك الأيام أن تعلن الخطبة الملكية بين لحظة وأخرى..

وساعدنا على ذلك الاعتقاد أن مصر كلها كانت قد عرفت بزيارة الملك لبيت ناريمان، كما عرفت بقصة الدكتور زكى هاشم، كيف اضطر للانسحاب حتى يفسح الطريق أمام الملك..

وأكد اعتقادنا.. ما كان أحمد نجيب الجواهرجى يردده أمامى كلما ذهبت إليه..

كان يقول لى:

- لقد صبرتم طويلا، ولم تبق سوى بعض الإجراءات الشكلية.. !

وترددت فى تلك الأيام إشاعات كثيرة تقول أن أزمة حادة قد نشبت بين الملك وحسين سرى..

كان يشغل منصب رئيس الديوان الملكى، وكان الملك يتأهب لطرده من منصبه..

وأثارني ما كنت أسمعه حول هذه الأزمة، مما دفعني لسؤال أحمد نجيب الجواهرجى مرة عن حقيقة ما يتردد حولها..

قلت له: الناس بتقول إن الملك قرر أن يطرد حسين سرى من منصبه لأنه لم يشترك فى جنازة أخى المرحوم حسين صادق..

وانفجر أحمد نجيب الجواهرجى بالضحك، وهو يقول لى:

- لسه بدرى عليك يا مصطفى علشان تفهم.. !

ثم استطرد يقول لى:

- أنت عارف.. فيه مسمار لما تشده من الحيطة ينخلع بسهولة وبسرعة، ولكن سى حسين سرى مسمار ناشف قوى، وعلشان تخلعه لازم.. تخلخله.. أى لازم تهزه عدة مرات، وتجيبه شمال ويمين، وهو لسه زى الحيطة، ولما يطرى يتخلخل تقوم تشده وترميه بره..

- وسكت أحمد نجيب الجواهرجى عدة ثوان، ثم لمعت عيناه ببريق عجيب وهو يقول لى:

- إحنا خلاص خلخلنا حسين سرى.. هزناه جامد.. وبعدين فى الوقت المناسب حنشده ونرميه بره.. نرميه بره.. فاهم..

وأدركت ما يعنى، ولذلك بادرته قائلا:

- آه فهمت خلاص يا أفندم.. !

كان يكره حسين سرى..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أقول له.. إننى قد فهمته... ولا أظن أنه كان ممكنا لى أن أعارضه.. فقد كان الرجل صاحب نفوذ كبير عند الملك..

ولم يكن أمامى إلا أن أؤكد له أننى أدركت ما كان يعينه..

وكما سمعت فى تلك الأيام.. لقد تكالب أعداء حسين سرى فى القصر الملكى عليه..

وكان أن أوغروا صدر الملك ضده استطاعوا إقناعه بالموافقة على التخلص منه..

وفى اعتقادي أن أحمد نجيب الجواهرجى كان واحدا من هؤلاء الأعداء الذين تآمروا ضد حسين سرى، فقد كان يكرهه لسبب لم أعرفه حتى الآن.. !

وردة حمراء مع كل رسالة:

وأعود مرة أخرى إلى قصة ناريمان مع فاروق..

إننا لم نسمع منه شيئا منذ أن جاء إلى البيت ليعزى فى وفاة أخى حسين لقد بقى مدة نصف ساعة ثم اختفى.. وكان علينا أن ننتظر.. أو هكذا كانت التعليمات التى أبلغت إلينا..

وكان هو وحده الذى يملك أن يقرر الخطوة التالية..

ومرت عدة أسابيع، قبل أن يظهر الملك من جديد، ولكن على طريقة (تلامذة) المدراس.. فقد أخذ يتبادل الخطابات الغرامية مع ناريمان، وكان أن أخذ فى مبادلتها الرسائل.. ومع كل رسالة يرسل إليها وردة من اللون الأحمر القانى..

وكانت عادته أن يبعث إليها كل أسبوعين رسالة.. وللدقة رسالتين فى كل شهر وكان يكتب جميع رسائله باللغة الفرنسية..

وفى هذه الرسائل كان فاروق يبث لناريمان غرامه..

وكان يروى لها قصصا خيالية كثيرة كان يقول أنها أحلام تراوده أثناء نومه منذ رؤيته أياها لأول مرة عند أحمد نجيب الجواهرجى.. !

وكان يقول لها كلاما فارغا من كل نوع.. وفى بعض هذه الرسائل كان يرسم لها قلوبا تقطر بالدم، وقد اخترقتها أسهم كيوبيد.. آلهه الحب والغرام عند الإغريق.. !

وأنا نفسى قرأت بعض هذه الرسائل، ولا أستطيع أن أقول عنها إلا أنها كانت أشبه بالرسائل التى يمكن أن يكتبها تلميذ صغير بإحدى المدارس الثانوية ليعاكس بها ابنة الجيران.. !

* * *

خطابات بأحمر الشفايف:

وما حدث عندما تلقت ناريمان أول رسالة من فاروق..

لقد اجتمعنا حولها.. أنا وأصيلة هانم وبعض أفراد العائلة..

وقرأنا جميعا الرسالة، ثم أخذنا نترجمها كلمة.. كلمة..

وكانت المشكلة.. كيف يمكن لناريمان أن ترد على تلك الرسالة المكتوبة باللغة الفرنسية..

قلنا.. ماذا يمكن أن تقول له؟ ! وهل يليق بها عندما تكتب للملك أن ترسم له القلوب والأسهم التى تقطر بالدم كما فعل فى رسالته إليها.. ؟

ولم يكن أمامى إلا أن أذهب إلى أحمد نجيب الجواهرجى لأستشيره كعادتى باسم عائلة ناريمان..

قلت له: أيه رأيك.. الملك أرسل رسالة إلى ناريمان.. ترد عليها إزاى ؟ ..

قال بعد أن قرأ رسالة الملك إلى ناريمان: يا أخى.. الملك بيفرح بالحاجات بتاعة شغل زمان.. !

قلت له: حاجات إيه؟

قال لى: أسمع خلى ناريمان تطبع على جواباتها قبلات روج وأحمر شفايف.. وخليها ترسم له قلوب وأسهم مشعللة بالنار زى اللى بيرسمها لها..

قلت له: أنا خايف يزعل.. إزاى تعمل كده للملك.. !

قال: أنا عارف فاروق.. وعارف إيه اللى بيعجبه.. !

كانت نصيحة غريبة، وقد ترددت كثيرا فى أن أوافق على أن تعمل ناريمان بها..

خشيت أن تعمل ناريمان بهذه النصيحة، فيغضب الملك..

ولا أريد أن أقول.. أننى كنت متخوفا من أن تقع ناريمان فى خطأ قد يؤدى إلى عدول الملك عن رأيه فلا يتزوج بها..

وكان أن قررت أن أعمل المستحيل للحيلولة دون وقوعها فى مثل هذا الخطأ..

كنت أريدها أن تصبح ملكة بأى ثمن !

ولذلك بادرت أقول لأحمد نجيب: إيه رأيك.. أنت عارف ناريمان ضعيفة فى الفرنساوي وصحيح أنها تعلمت فى المدراس الفرنسية إلا أن أسلوبها لا يؤهلها لأن تكتب رسالة للملك..

قال: وأيه العمل.. لازم ترد عليه..

قلت له: اكتب أنت الجوابات وهى تبيضها بخط أيدها ثم ترسلها للملك..

قال: والله فكره..

واتفقنا على أن يكتب أحمد نجيب الجواهرجى رسائل ناريمان إلى فاروق..

وأعد أحمد نجيب الرد على أول رسالة..

وكانت مفاجأة عندما اكتشفت أنه هو الآخر ضعيف فى كتابة اللغة الفرنسية..

كان يتكلمها بطلاقة، ولكنه لم يكن يتقن الكتابة بها..

وكان أن أخذ يفتش فى قواميس اللغة الفرنسية على الألفاظ التى يمكن أن تضمها رسائل ناريمان لفاروق، كما أشترى كتابا فرنسيا يحتوى على مجموعة من الخطابات الغرامية ليقتبس منها بعض العبارات الرقيقة التى تستخدم عادة فى رسائل العشق والغرام..

ولم أتمالك نفسى من الدهشة وأنا أقول له:

- الظاهر ناريمان بتعرف فرنساوي أحسن منك..

وابتسم أحمد نجيب، وهو يقول لى:

- أنا بفتش عن أحسن العبارات التى يمكن أن تجمع بين الحب والاحترام فى وقت واحد..

المهم.. أعد أحمد نجيب الرد على رسالة فاروق، ثم أخذ يقرأها أمامى بزهو وهو يقول:

- ده جواب مضبوط خالص.. خلى ناريمان تكتبه بخط أيديها وتحط عليه كام بوسه بالروج وأحمر الشفايف قبل ما تبعته للملك

وانتظرت حتى فرغ الرجل من قراءة الرسالة وترجمتها باللغة العربي، ثم قلت له: أنا شايف فيه كلمة أو كلمتين مش تمام..

قال لى: ولا يهمك.. فاروق بيعجبه الكلام ده..

قلت له: إزاى تقول له ناريمان فى أول رسالة تبعث بها إليه.. يامولاى..

أنا مشتاقة لكى أقبلك بين عينيك مليون قبلة.. !

وأخذ الرجل يقهقه عندما حاولت إقناعه بالعدول عن هذه الفقرة، وهو يقول لى:

- بكرة تعرف.. الكلام ده هو اللى يعجب فاروق..

لم أقل شيئا.. ولم يكن فى وسعى إلا أن أحمل الرسالة التى أعدها أحمد نجيب الجواهرجى وذهبت بها إلى بيت ناريمان..

كانت فى انتظاري وهى فى أشد حالات التلهف لمعرفة ما كتبه الرجل فى أول رسائلها إلى فاروق، ووجدت معها آنسة فرنسية كانت تعطيها بعض الدروس الخصوصية فى اللغة الفرنسية..

وهذه الآنسة كانت تعمل مدرسة بمدرسة الليسيه الفرنسية، وقد أرادت ناريمان أن تستعين بها فى مراجعة الرسالة..

وكانت مفاجأة مثيرة، عندما قرأت الآنسة الفرنسية الرسالة ثم أخذت تتأفف وهى تقول.. أن الرسالة مليئة بالأخطاء النحوية والهجائية.. !

واضطرت ناريمان لأن تطلب إلى مدرستها الفرنسية أن تعيد كتابة الرسالة من جديد بلغة فرنسية سليمة وأن تصحح أخطاءها..

كانت رسالة رقيقة، وقد نقلتها ناريمان بخط يدها ثم بعثنا بها إلى فاروق بواسطة أحمد نجيب الجواهرجى..

وأذكر أن فاروق أرسل إلى ناريمان فى تلك الأيام أكثر من عشرين رسالة، وكانت كلها مكتوبة بنفس الأسلوب الذى يكتبه تلميذ فى إحدى المدارس الثانوية عندما يعاكس بنت الجيران..

وقد قامت ناريمان بالرد على كل واحدة من هذه الرسائل بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب.. وللدقة.. كانت ترد عليه بأسلوب أحمد نجيب الجواهرجى ولكن بعد التصحيح.. !

وكان فاروق سعيدا بالرسائل التى يتلقاها من ناريمان.. !

وعلى كل واحدة من هذه الرسائل كانت ناريمان تطبع عدة قبلات بأحمر الشفايف تنفيذا لتعليمات الرجل الذى كنت أطلق عليه وأنا أداعب ناريمان اسم: حامل رسائل الغرام إلى الملك..

وبقينا على هذا الحال ننتظر..

وفى كل يوم.. ومع كل رسالة كنا نتوقع أن يكف الملك عن مهزلة هذه الرسائل..

وكان فى تصورنا أن يبادر الملك بإعلان خطبته رسميا لناريمان، ولكن الملك أحب لعبة تبادل هذه الرسائل، وكان أن استمر فيها..

وكان فى نفس الوقت يفكر فى شئ آخر..

وأذكر أنه قد حدث فى إحدى الليالي بعد وفاة أخى حسين بعدة أشهر، أن دق جرس التليفون فى بيت ناريمان..

ورفعت ناريمان سماعة التليفون لتسمع من يقول لها:

- هالوه.. شيرى.. أى عزيزتى..

قالت له: مين.. بيتكلم.. مين حضرتك...

قال لها: أنت مش عرفانى..

وعلى طريقة تلاميذ المدراس أيضا أخذ المتطفل الذى أقلق راحة ناريمان يعاكسها فى التليفون..

وهددت ناريمان بأن تغلق السماعة فى وجه ذلك المتطفل، ولكنه بادرها بقوله وهو يقهقه:

- أنا فاروق..

كانت أول مرة يتحدث فيها الملك إلى ناريمان بالتليفون منذ وفاة أخى المرحوم حسين..

وكانت أول مرة أيضا تسمع فيها صوته وهو يقهقه عندما يضحك على طريقته..

وتصورت ناريمان أن فاروق سيدخل تعديلا على خطة الاتصال بها..

وكان أن تبادر إلى خاطرها أنه سيكف عن كتابة الرسائل الغرامية إليها، وأنه قد يتوقف نهائيا عن رسم القلوب و الأسهم المشتعلة بنار الحب ليبدأ معها لعبة جديدة هى.. المعاكسات التليفونية..

قالت له: إيه الحكاية يا مولاى..

إيه رأيك يا شيرى تسيبي مصر، وتسافرى بلاد بره..!!

* * *

تلميذة مدرسة الأميرة فريال الثانوية
التى خطبها ملك مصر.